

## عمارة ما قبل التاريخ

### مفاهيم وتعريف:

**التاريخ History:** فرع من العلوم الإنسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقتها وتسجيلها وتفسيرها، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها وتعاقبها تارة وتزامنها تارة أخرى. لكنه لا يقف عند تسجيل هذه الأحداث، بل يفسر التطور الذي طرأ على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة.

**العمارة Architecture:** هي بيت العلوم والفنون على مر العصور. والعمارة هي السجل الموثق لتاريخ الانسان منذ نشأته على هذه الأرض وحتى يوم بعثه. هي ذلك الفراغ من الإبداع الإنساني، الذي يؤطر الذاكرة ويعطيها شكلا يحفظ ما اخترنته الأجيال من صور ومفاهيم وتجارب وما أرادت التعبير عنه من مواقف ومشاعر ومعتقدات.

**العمارة:** هي فن تكوين الحجم والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف والنشاطات الإنسانية والاجتماعية بتنوعها، وهي انطلاقا من ذلك تعكس في سماتها وأشكالها الإنجازات التقنية والحضارية والتطلعات الجمالية والروحية والقدرات المادية، للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محددة.

دراسة **تاريخ العمارة** ليست دراسة وصفية ولا حفظية، تسرد تواريخ وأحداث تمر، بل هي استيعاب للروح المعمارية التي مرت وعاشت بعصر من العصور القديمة، ودراسة المشاكل المعمارية التي واجهت المعمار القديم، وأساليب المعالجة التي اتبعتها لتخطي هذه

المشاكل، وإمكانية الاستفادة من التجارب المعمارية القديمة بشكل يتوافق مع روح العصر ومتطلباته.

تعتبر العمارة إذن الوجه الحقيقي والميزان الصادق لتطور وتقدم أي حضارة من الحضارات، وهي الدليل المادي والملموس لأي حضارة. كما أن الفن المعماري هو أول فن تبناه الإنسان وهو الفن القيادي لبقية الفنون، فضمنه الرسم والتشكيل والنحت والديكور وغيرها من الفنون، لهذا كله تدرس العمارة وفنونها وتاريخها في كل مدارس الفن والعمارة.

يبدأ التاريخ مع ولادة الحضارة كما أن ولادة الحضارة تطلق التاريخ، ويمكن تقسيم تاريخ العمارة حسب العصور الحضارات التي أبدعتها كما يلي:

1- عمارة عصور ما قبل التاريخ .

2- عمارة الحضارات القديمة:

- العمارة في بلاد الرافدين
- العمارة المصرية القديمة
- عمارة بلاد الشام
- العمارة الفارسية
- العمارة الصينية
- العمارة الهندية
- العمارة اليابانية
- عمارة حضارات الأستيك والمايا والأنكا

3- العمارة الكلاسيكية:

- العمارة المينوية
- عمارة المسينيين
- العمارة الإغريقية
- العمارة الرومانية
- العمارة المسيحية المبكرة
- العمارة البيزنطية

4- العمارة في القرون الوسطى:

- العمارة الإسلامية.
- عمارة الرومانسيك.
- العمارة القوطية.

5- عمارة عصر النهضة الأوربية:

- عمارة عصر النهضة المبكرة.
- عمارة عصر النهضة المتأخرة.
- عمارة الباروك.

6- عمارة القرن الثامن عشر الميلادي.

7- عمارة القرن التاسع عشر الميلادي.

8- عمارة الحداثة.

عرفت الفترة الزمنية التي سبقت اكتشاف الكتابة، بعصور ما قبل التاريخ وما بعدها بالعصور التاريخية.

دامت عصور ما قبل التاريخ فترة زمنية طويلة، قسمت إلى مراحل سجل فيها الإنسان تطورا، مهد الطريق لنشوء وتطور الحضارة الإنسانية، إلى ثلاثة مراحل أو عصور:

1- العصر الحجري القديم Paleolithic : يمتد من مليون سنة إلى /80/ ألف قبل الميلاد.

2- العصر الحجري المتوسط Mesolithic : يمتد من /80/ ألف سنة قبل الميلاد إلى /20/ ألف سنة قبل الميلاد.

3- العصر الحجري الحديث Neolithic : من /20/ ألف سنة قبل الميلاد إلى /12/ ألف قبل الميلاد.

عصور المعادن: هي تلك الأزمنة التي استطاع فيها الإنسان أن يستخدم المعادن ويشكلها وفق احتياجاته، وقسمت حسب أنواع المعادن المكتشفة إلى:

1- عصر النحاس Copper Age : ظهر في الشرق الأدنى ويؤرخ له من قبل /4000/ سنة قبل الميلاد إلى /3500/ قبل الميلاد.

2- عصر البرونز Bronze Age : تميز ببدء صنع الأدوات، يمتد من /3500/ قبل الميلاد إلى /2500/ قبل الميلاد.

3- **عصر الحديد Iron Age** : يمتد من /2500/ سنة قبل الميلاد إلى /1000/ سنة قبل الميلاد. ويعتبر هذا العصر بالنسبة للإنسان الأول، هو بداية الدخول إلى الحضارة التي مناطق الشرق الأدنى وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى وبلاد وادي النيل.

### أولاً- العصر الحجري القديم **Paleolithic** :

استخدم الإنسان الأول في هذا العصر الكهوف والمغاور كملجأ يأوي إليه من الحيوانات المفترسة، ويحتمي به من العوامل الطبيعية التي تهدد حياته. كما عمد الإنسان في هذا العصر إلى نوع من المعالجة المعمارية تتلاءم مع مكتشافته وحرصه على البقاء والاستمرار، فعندما اكتشف النار، جعل في سقف كهفه أو مغارته فتحة لخروج الدخان إلى الخارج، كما جعل للكهف باباً يوصد في الليل خوفاً من غدر الغرباء أو الحيوانات المفترسة.

كما توصل إلى رسم بعض الرسوم والزخارف على جدران كهوفه ومغاوره. تعبر بشكل بدائي وبسيط عن طبيعة تفكيره المضطرب، وخوفه من المجهول وخاصة الحيوانات (مغارة التاميرا في أسبانيا). وفي آخر قسم من أقسام هذا العصر دفعت متطلبات الحياة الإنسانية إلى استعمال نوع من التقسيم الوظيفي لكهفه أو مغارته، بحيث جعل هناك مكاناً للنوم وللإقامة وغيره.

وقد دلت المكتشفات الأثرية على وجود العديد من المغاور والكهوف المنتشرة في قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا (مغارة ماديلين في فرنسا).

- اكتشف في سورية: مغارة الدوارة قرب تدمر، ومغارة ببيرو، وكهوف وادي اللطامنة. وقد عثر في كل هذه الكهوف والمغاور، على معدات مصنوعة من الأحجار الصوانية استعملها إنسان ذلك العصر، وهي على شكل سكاكين ومثاقب ومناشير وغيرها.

### ثانياً- العصر الحجري الوسيط **Mesolithic**:

تميزت أحقاب هذا العصر بظهور بدايات العمارة لأن الإنسان ترك الإقامة داخل الكهوف والمغاور، واتجه للسكن حول ضفاف الأنهار والبحيرات، في أكواخ مشيدة من أعواد القصب بجدران مائلة للداخل قليلاً ولها سقوف من أغصان الأشجار والطين. كما كانت هناك أنواع من الخيام استعملت في بنائها الأغصان وجلود الحيوانات. ومع ذلك بقيت بعض المجموعات البشرية في المغاور والكهوف، ولكن بعد إجراء التعديلات المناسبة عليها، بحيث تتناسب مع ظروف المعيشة الجديدة ومعدات المتطورة عن العصر الماضي.

وعليه ظهرت الأكواخ المشيدة والخيام مع بعض المغاور والكهوف كسكن منظم في هذا العصر(مثال عنها مغارة الكبارا في جبل الكرمل بفلسطين)، وشكلت الأسس الأولى لانطلاق العمارة وتنوع نماذجها وأساليب بنائها وتصميمها، وفق عوامل وشروط كانت تؤثر وتوجه العمارة، بحيث تحدد لها إطارا عاما وتبرز طرزها المعمارية.

في أواخر هذا العصر، بدأ ظهور مرحلة تنسم بالفعاليات الاقتصادية المشتركة في التجمعات البشرية، التي ظهرت في مناطق متعددة من العالم في أوروبا وآسيا الصغرى ووادي النيل وبلاد الشام والرافدين. وبدأ البناء المدني والديني يتخذ شكل مجموعات أو قرى صغيرة تبنى على ضفاف الأنهار والبحيرات. وعرفت فيما بعد باسم **قرى الصيادين**، لأن هذه الفترة امتازت بالصيد البري والنهري كما عرف فيها تدجين بعض الحيوانات مثل الماعز والكلاب، والزراعة البدائية المعتمدة على جمع الحبوب والثمار.

ويعتبر موقع **أبو هريرة وتل المربيط** المكتشف في حوض الفرات أشهر المواقع في سورية، إذ يعود للألف التاسع قبل الميلاد وقد كشف فيه عن أبنية طينية بدون أساسات من الحجر. بينما كشف في موقع **عينان في وادي النطوف** في فلسطين على مباني لها أساسات حجرية وهي تعود إلى الألف الثامن قبل الميلاد، والبناء في كلا الموقعين المذكورين يضم غرف واسعة بعضها مستدير وبعضها مستطيل الشكل.

أما أسلوب التسقيف في هذه الفترة فلا يعرف شيء مؤكد، ولكن يعتقد بأن الأسقف كانت من الأغصان التي توضع على الجدران بشكل أفقي، ثم يوضع فوقها طبقة من الجلد أو القصب والأغصان الأصغر، ثم يضاف فوقها طبقة طينية. أما بالنسبة للمداخل والنوافذ فهي أيضا غير واضحة بسبب البقايا القليلة الموجودة على شكل أساسات وهي لا تعطي أية فكرة عنها سوى أنه من المعتقد بأن المعتقد بأن المداخل كانت من الأعلى، والنوافذ أو الفتحات هي أيضا من الأعلى ولكل غرفة فتحة واحدة على الأغلب.

د. عبير شذود